مفهوم التعريب وتأريخه ومسوغاته وعوائقه عند الدكتور ممدوح محمد خسارة

الكلمات المفتاحية: التعريب ، التنمية ، المعاصرة

البحث المُستل من رسالة الماجستير

مهى مهدي صالح **أ. د. إبراهيم رحمن حميد الأركي**

دائرة التعليم الديني والدراسات الأسلامية **جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الإنسانية**

Golden.flower80@gmail.com Profibraheemaa@yahoo.com

الملخص

يقوم هذا البحث على دراسة قضية التعريب في العصر الحديث، لأنها القضية التي نالت الجانب الأهم في البحث اللغوي عند الدكتور ممدوح محمد خسارة، وقد سلط البحث الضوء على التعريب بوصفه ظاهرة لها أصولها عند لغويّ العرب القدماء، وبعدها قضية حديثة نالت أهتماماً واسعاً وكبيراً في الوقت المعاصر من لدنَّ المحدثين، لأثرها في تنمية اللغة وزيادة ثروتها اللغوية، فاعتنى الدكتور ممدوح بتوضيح مفهوم التعريب قديماً وحديثاً، وتأريخهُ، ومسوغاته وأهم العقبات التي تحوّل دون إتمام تحقيقها في الأمة العربية.

المقدمة

الحمدُلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

التعريب مصطلح قديم جديد، قديمٌ بقدم الحضارة العربية عرفه العرب نتيجة أحتكاكهم بالأمم والحضارات القائمة آنذاك. فأضاف العرب إلى رصيدهم اللغوي ألفاظاً مقترضة، واستطاعوا أن يطوعوها لسنن العربية، حتى أصبحت من صميم المعدن العربي، ناهيك عن الدور الريادي الذي كانت عليه الحضارة العربية آنذاك، وجديدٌ، مع الثورة العربية التي أستيقظ منها العرب جراء ما عانته من ويلات الاستعمار، وحرصهم على مواكبة الصرح العلمي والتقني الذي يشهده العالم، ومحاولة المشاركة فيه، فأخذ التعريب منحى أخر، وجوانب جديدة، كان أولها استعادة الهوية العربية التي سلبها الاستعمار، ووحدة الأُمة للعمل على القضاء على التخلف بكل أشكاله وتبعاته، وليصبح للعرب أثر في العملية الأنتاجية، لا أن يقصر الأمر على أن نكون أمة مستهلكة فقط، وغيرها من الجوانب التي للتعريب أثر مهم وفعّال في تنميتها[١]. فشتان مابين الماضي والحاضر، ففي الماضي كانت اللغة العربية هي السائدة بين كل لغات العالم، وسيادتها كانت قائمة لقوتها المعرفية والعلمية، واليوم يرى اللغويون أن

للتعريب أثره الكبير لأستعادة الصرح العلمي، وأهم هذه الطرائق هو تعريب التعليم لأنَّه محور فعّال في تنمية اللغة، لأن اللغة هي مقوم وحدتنا وبطاقة تعريفنا.

وانصب اهتمام اللغويين بالتعريب كثيراً، حتى أُنشأت المجامع اللغوية، وعُقدت الندوات والمؤتمرات، وأُلفت الكتب للتعريف بضرورتها، وطرائقه وسبل أنجاحه، وإيماناً بهذه القضية التي يرى الدكتور ممدوح فيها أن الغاية الأساسية منها هو أن يعيش الإنسان العربي حُراً كريماً، ووحدة الأمة هي الوسيلة إلى هذا الإنسان، واللغة العربية هي الدعامة الأولى والأعرق لهذه الوحدة[٢].

فجاء بحثه اللغوي منصباً على هذا الجانب، ولاسيما بعد ما رآهُ من الأنفتاح العالمي وظهور ما يُعرف بالعولمة التي يرى فيها تهديداً للثقافات القومية والوطنية، وحتى ثوابت الحياة الفكرية والأجتماعية واللغوية، فهو يرى أنَّ مع ما تحمله من أثار إيجابية بمظهرها التقاني المتمثل بالحواسيب والشابكة والفضائيات الذي يُمكن تسخيره لخدمة اللغة، إلا أن أثارها السلبية طغت أمام من يجهلون العربية وحُسن أستخدام العولمة بما يخدم أنتشارها[٣]. ويرى أنَّ أخطرها هو الجانب اللغوي، التي من أبرز أثارها السلبية هو أنتشار تعلم اللغات الأجنبية في التعليم وفي أدارة المؤسسات العربية المختلفة، ومن وجهة نظر الدكتور ممدوح أنَّ التعريب من أهم سبل مواجهة الغزو الثقافي واللغوي[٤]. فهو يؤمن بأنه" إذا كانت اللغة هي حافظة وجود الأمة، وهي الرابطة الأهم في تكوينها، وأنه لا أمة دون لغة، فإن بقاء هذه اللغة مرهون بتطويرها وتنميتها الدائبة، لتكون لغة حياة، أي لغة علوم وتقانة كما هي لغة أجتماع وآداب وشرعيات ولا يجعلها لغة حياة إلا التعريب"[٥].

فبعد هذه الأهمية التي أبداها الدكتور ممدوح جاء بحثه اللغوي بهذا الأتجاه، ليقدم للقارئ والباحث المتخصص ما يمكن الأفادة منه في هذا الميدان.

مفهوم التعريب

لغة: جاء في مقاييس اللغة " أعرب الرجل عن نفسه، إذا بين وأفصح"[٦]. وفي لسان العرب " عُرب منطقه أي هذبه من اللحن، والأعراب الذي هو النحو، إنما هو الإبانة عن معاني الألفاظ"[٧]. وقال الأزهري (٣٧٠):" الأعراب والتعريب معناهما واحد، وهو الإبانة، يُقال: أعرب عن لسانه وَعَرَّب أي أبان وأفصح..... وكلا القولين لغتان متساويتان بمعنى

الإبانة والأفصاح"[٨]. فالإبانة والأفصاح هي أظهر المعاني اللغوية لمادة (عرب) ومشتقاته، وهذا ما ذهب اليه الدكتور ممدوح[٩]. والمحدثون ومنهم الدكتور عيسى أحمد[١٠]. فنجد أنَّ التعريب يتفق في عمومه مع الإبانة والأفصاح. وقد استعمل اللغويون العرب قديماً وحديثاً التعريب بمعنى الترجمة كثيرا، لأنها لا تبتعد عن معنى الإبانة والأفصاح، فالترجمة هي" نقل مفهوم من لغة أعجمية إلى اللغة العربية"[١١]. إذ يوضح الدكتور ممدوح الربط بين المفهومين بقوله:" الترجمة تفصح وتبين عن المقصود من الكلمة أو العبارة غير العربية"[١٢]. فالرابط الذي يجمع بين التعريب والترجمة هو معنى توضيح معاني الكلمات وأبانتها.

أما اصطلاحا: فيرى الدكتور ممدوح بأنَّه قد تعددت مفهومات التعريب، فمدلوله عند اللغويين القدامى أمتد عند اللغويين المحدثين إلا أنَّه تعددَ عندهم، وهو في المشرق العربي غيره عند المغرب العربي، مما دفعه إلى استقراء مفهومه في بحثه اللغوي، فوجد لهُ دلالات عدة واستعمالات متعددة وهي:

إنَّ كلمة التعريب عند القدماء تعني" أن تتفوه العرب بالكلمة الأعجمية على منهاجها"[١٣]. أي أن ينطق العرب بالكلمة الأعجمية بحسب نظامها الصوتي والصرفي، ويعرف هذا النوع من التعريب باسم(التعريب اللفظي)، ويلجأ اليها العرب عند تقصير وسائل التوليد اللغوي عن إيجاد مقابل لغوي عربي للكلمة الأعجمية[١٤]. ويقابل التعريب مفهوم (التعجيم) وهو بعكسه أي إدخال الكلمات العربية إلى اللغات الأجنبية، ومما يعنيه التعريب استعمال اللغة العربية وجعلها لغة الأدارة والتعليم معاً، ومن المفاهيم الجديدة للتعريب هو (وضع المصطلح العربي) وإيجاد ما يقابل المصطلح العلمي الأجنبي، ويتعلق هذا المفهوم ويرتبط بصورة مباشرة بميدان تعريب التعليم؛ إذ لا نجاح لتعريب التعليم الجامعي دون إيجاد ما يقابل المصطلح الأجنبي باللغة العربية[١٥]. وهذا المفهوم أكثر ما أكد عليه الدكتور محمد الصيادي[١٦].

ويرى الدكتور ممدوح أنَّ التعريب يتجه اليوم إلى المفهوم السياسي الأجتماعي، والمقصود به هو" أن نفكر عربياً، لا أن نتواصل بالعربية فحسب" [١٧]، ويرى أنَّه يتحقق في ضوء أسهام الأمة العربية في التقدم العلمي والتقني، لا أن نجعل حال نطقنا لها فقط[١٨].

فبعد تتبع الدكتور ممدوح واستقرائه لمفاهيم التعريب نجد أنَّ استعمالاتها اليوم تعددت، إلا أنَّ المفهوم الحديث لم يبتعد كثيرا عن المفهوم القديم سوى أنَّه أكتسب دلالة جديدة مع التطور الحضاري في العصر الحديث، ونجدها انقسمت في أطارين لغوي وقومي، ونعني باللغوي هو

تعريب الألفاظ وإدخالها في حيز اللغة بعد أن تصبح جزءاً منها بلفظها وأصواتها وقواعدها، أما القومي، فهو أن نجعل اللغة العربية أساس التعليم الجامعي وفي كل مجالات دوائر الدولة، ووضع مصطلح علمي عربي، وهذان العاملان هما أطار البحث اللغوي الذي يسعى الدكتور ممدوح إلى تحقيقه.

تأريخ التعريب

ترتبط اللغة بحياة البشر برابطة قوية، فكلما تطور الناس تطورت لغتهم معهم وكلما زاد أحتكاك الحضارات فيما بينها أنعكس ذلك على لغاتهم أيضا، لأنَّ اللغة العربية ليست بمعزل عن لغات العالم الخارجي، فاحتكاك اللغات يُشابه احتكاك الشعوب، ويؤثر في كل مرافق الحياة الاقصادية والسياسية وغيرها[١٩].

والعرب من الأمم التي كان لها علاقاتها بالدول المجاورة منذ القدم، فكان التعريب عندهم وسيلة من الوسائل لسد حاجة المجتمع اللغوية. وقد تطرق إلى الحديث عن تاريخ التعريب في أكثر الكتب المعنية بهذا الجانب بشكل تفصيلي ، وعند حديث الدكتور ممدوح عن تاريخ التعريب كانت له قراءته الخاصة، إذ عمدَ إلى وصف كل مرحلة مرَّ بها التعريب وتمييزها من العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث، لذا أرتأيتُ أن أُبين المراحل التي وصفها الدكتور ممدوح لتاريخ التعريب.

أما مرحلة العصر الجاهلي فتميزت بتعريب مفردات الألفاظ، ويوضح الدكتور ممدوح أنَّ هذه المرحلة لم يكن التعريب فيها عاملاً أساسياً لسد حاجة المجتمع؛ بل أقتصرَ الأمر على بضع من المفردات التي لم يألفها العرب في بيئتهم البدوية، ومن ذلك (السجنجل) و(القرنفل) وغيرها من الكلمات، فكان ما تم تعريبه كلمات معدودة[٢٠]. وهذا ما أشارَ اليه الدكتور عبد العال مكرم فيقول" إن الكلمات الأجنبية في العصر الجاهلي قليلة جدا، بل إن الكلمات الوافدة كانت تعد على الأصابع"[٢١]. فهي لم تبلغ سوى بضع مئات من الكلمات ليس غير[٢٢].

ومن ثمَّ أصبح للعرب نقله حضارية كبيرة بمجيء الأسلام، ولاسيما أن معظم المسميات تطورت عند مجيء الإسلام، إذ كان ظهور هذه المسميات ضرورة تطلبتها الحاجة إلى التعبير عن المفاهيم المعنوية والمستحدثات المادية، فأحدث ذلك تطوراً وتنمية واسعة للغة العربية[٢٣]،

ويرى أنَّ هذه المرحلة تميزت بالاعتمادِ على توليد الألفاظ أما أشتقاقاً أو مجازاً، إذ كان توليداً ذاتيا من الفاظ اللغة العربية، واستخدامها لتسمية المفاهيم الجديدة والتعبير عنها[٢٤].

وأبرز ما ظهر في هذه الحقبة هو مسألة المعرَّب في القرآن الكريم، واختلاف العلماء فيه، وانقسمت الأراء في هذه المسألة على ثلاث فرق:

الفريق الأول: وهم أهل العربية، وذهبوا كما يقول الدكتور ممدوح إلى" إنكار أن يكون في القرآن ما ليس غربياً من الكلمات"[٢٥]، وفي مقدمتهم أبو عبيدة بن معمر بن المثنى(٢١٣)، إذ يقول:" ومن زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم القول"[٢٦]. واحتج بقوله تعالى" **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** " الزخرف/٣٠. وهذا الرأي مذهب الشافعي وهو قول جمهور العلماء ومنهم الطبري وابو بكر بن الطيب وابن فارس من القدماء[٢٧]، ومن المحدثين الشيخ أحمد شاكر بقوله:" لا يُعقل أن تكون كلمة من كلماته....دخيلة على لغة العرب"[٢٨].

الفريق الثاني: ذهب فريق من اللغويين والفقهاء إلى إقرار وجود كلمات غير عربية في القرآن، فقال ابو عبيد القاسم بن سلام(٢٢٤):" وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم، في أحرف كثيرة، أنه من غير لسان العرب. مثل سجيل ومشكاة واليم والطور "[٢٩].

الفريق الثالث: فرأى أنَّ كليهما مُصيب، وهو رأي أبي منصور الجواليقي، إذ يقول:" إنَّ هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثُم لفظت به العرب بألسنتها، فعربته، فصار عربيا بتعريبها إياه فهي في هذه الحال، أعجمية الأصل"[٣٠]. فالفريقان بهذا القول صادقان.

أما موقف الدكتور ممدوح من هذه المسألة فهو يذهب مع الفريق الثالث، ويراه القول السديد، بقوله:" ذلك أن القرآن جاء بلغة العرب لذلك العصر، ولما كانت لغة العرب عصرئذٍ تحتوي كلمات أعجمية معربة، فقد كان من الطبيعي أن يستخدم القرآن تلك الكلمات المعربة، لانها تعربيات صارت كالعربية تماما"[٣١]. فنجد أنَّ رأيه موافقاً لرأي الجواليقي وما جاء به. ويرى أنَّ هذه المسألة تعيدنا إلى القضية الأساسية وهي قضية التقارض بين اللغات، فالتقارض مسألة موجودة منذ القدم، والكلمات التي دخلت إلى العربية عُرّبت، فأصبحت جزءاً منها قبل نزول القرآن، واستعملها القرآن بعد أستقرارها[٣٢]. ويرى الدكتور محمد الصيادي أنَّ سَوق مسألة المعرب ووجوده في القرآن، واختلاف الآراء فيه دليل على رواج هذه المسألة وقبولها والأطلاع عليها[٣٣].

ويتضح من ذلك أنَّ التعريب في هذين العصرين لم يتعدَ إلا أقتراض بعض المفردات التي أحتاج اليها العرب في حياتهم المعيشية، ويستخدمونها بعد أن تخضع لطريقة النطق العربي ومنهاجهم، حتى أصبح من الصعب تمييزها، وأنَّ تنمية اللغة بلغت أوجها في هذين العصرين بتوليد ألفاظ من مادة اللغة العربية، ولم تعتمد على تعريب الألفاظ الأعجمية إلا بقدر محدود وقليل.

أما العصران الأموي والعباسي فهما من عصور الإسلام الزاهرة المقبلة على المعرفة العلمية، فقد أنشئت مراكز التعريب فيها، وأهم ما يُميز هذه الحقبة تعريب العلوم والمصطلحات إذ نقلت العديد من الكتب الأعجمية في مجالات العلوم كافة إلى العربية، ووضع مصطلحات إما بإيجاد ما يقابلها أو بأقتراضها وتعريبها لفظاً أو بأدخال المصطلح الأعجمي واستعماله كما هو، ومن ثمَّ العمل على إيجاد ما يقابله مستقبلاً[٣٤]، فمصطلح قاطيغورياس مثلاً ولدوا له بعد ذلك مصطلح(المقولات)[٣٥].

وما يريد الدكتور ممدوح توضيحه هو أنه" من الممكن أن يسير تعريب العلوم والتعليم مع أستعمال المصطلح الأجنبي المقترض، إلى أن يوضع المصطلح العلمي العربي"[٣٦]، فما يريد إيصاله للباحثين هو أن نقتدي بمن سبقونا عندما واجهتهم هذه المُعضلة إلا انهم تعاملوا معها بحكمة ونظرة مستقبلية استطاعوا توظيفها لصالحهم دون المساس بما يضر اللغة.

وبعد انتهاء هذين العصرين نشطت حركة وضع المصطلحات أكثر عند العرب حتى غدت المصطلحات العربية هي السائدة في كتبهم العلمية، وانتقل العرب من " مرحلة النقل والترجمة إلى مرحلة البحث والتأليف والأسهام الفعلي في تطوير العلوم"[٣٧].

فنلحظ أنَّ اللغة العربية تأثرت بمن يجاورها وكان التأثير مختلفاً من عصرٍ إلى آخر، وكان لهُ أثره في تطوير اللغة، يقول الدكتور محمود سعران:" والأثر الذي يقع على لغة ما. من لغاتٍ مجاورة لها كثيراً ما يلعب دوراً مهماً في التطور اللغوي"[٣٨].

أما التعريب في الوقت الحاضر فقد أخذ بُعدا وشكلا آخر، وسارَ في أتجاهين مختلفين في الوطن العربي، ففي دول المشرق العربي، يرى الدكتور ممدوح بأنَّها تميزت بطابع لغوي فني، إذ أخذ شكل تعريب التعليم والعلوم وما يتطلب من وضع المصطلحات[٣٩]. يقول الدكتور محمد الصيادي إن المقصود بالتعريب في المشرق العربي" هو صياغة المصطلح الأجنبي على المقاييس الصرفية العربية بحيث يصبح قابلا للتعريف وأخذ الأسم منه

والفعل.....الخ"[٤٠]. أما في دول المغرب العربي، فأخذ التعريب بُعدا قوميا وطنيا، للتحرر مما فرضته دول الاستعمار من إتخاذ لغتها وثقافتها لغة رسمية، فيرى الدكتور ممدوح بأنَّه" لم يأخذ التعريب مفهوم وضع المصطلح العلمي العربي بل أتخذ مفهوما سياسيا واجتماعيا شاملا ذا أبعاد تحررية وطنية"[٤١]. فالمسألة في المغرب العربي أخذت طابع الرجوع إلى الأصالة العربية والأسلامية وهذا لا يتحقق إلا بالتعريب بمعناه المباشر، وهو كما يقول الدكتور محمد الصيادي" إحلال اللغة العربية في التعليم محل اللغات الأحنبية"[٤٢]. وهذا المفهوم هو الذي غلب في أقطار المغرب العربي. ولكن هل يمكن لدول المغرب العربي أن تنجح في تنفيذ خطتها من دون وجود مصطلحات عربية؟ بالتأكيد إن أي مشروع يحتاج إلى مصطلحات لينفذ خطته التي يسعى إلى تنفيذها. فنجد الدكتور ممدوح بعد أن ميز بينهما يُقر بأن مفهوم التعريب في المشرق العربي هو ما تحتاجه دول المغرب العربي عند تنفيذ خطتها التعريبية[٤٣]. وهذا الرأي متفق عليه عند أغلب المحدثين ممن أهتموا بهذه المسألة[٤٤].

فلم يخرج الدكتور ممدوح عن الأطار العام الذي عرضه المعاصرون بخصوص هذه القضية.

التعريب طريق إلى المعاصرة

إنَّ التعريب بمفهومنا العصري هو أن نجعل لغتنا العربية لغة المعرفة في كل مجالاتها كلاماً وتعليماً وبحثاً وترجمةً وتأليفاً[٤٥]. ولتحقيق هذا الهدف كان لابد من طريق يسلكه العرب للوصول اليه، فكان التعريب هو الخيار الأفضل عند اللغويين من أجل اللحاق بركب العلم والتقانة. يقول الدكتور محمد الصيادي:" التعريب ليس قضية لغة، بل هي قضية حضارية أساسية تواجهنا حاليا. اللغة ليست ألفاظا بل فكرا. وبالتالي، لابد من تطوير المجتع العربي واستيعاب حضارة العصر، وذلك لا يتم إلا عبر اللغة كوسيلة وأداة"[٤٦]. فكلما كانت لغتنا لغة علمية، أرتقت ونهضت بنفسها أمام هذا الصرح العلمي.

ويرى الدكتور ممدوح أنَّ طريق المعاصرة الذي علينا أتباعه هو بناءُ قوة معرفية علمية ولا يتحقق ذلك إلا عندما تكون أُمتنا من الأمم المنتجة والمستقلة التي لا تعتمد على الاستهلاك بكل أشكاله المعرفية أو الأقتصادية[٤٧]. ويشير الدكتور أحمد مطلوب إلى أنَّ التعريب هو الهدف الذي نستطيع عن طريقه تحقيق هذه المعاصرة، ولتحقيقها لابد من كسر

حاجز الخوف والتردد، ومواجهة الصعوبات والوقوف أمامها؛ لأن التأجيل يزيدها صعوبة والإقدام عليها هو الحل الأمثل(٤٨).

ويرى الدكتور ممدوح أنَّ هناك خيارين للوصول إلى هذه المعاصرة والإفادة منها " إما أن نأخذه بلغة أهله على ما يجلبه لنا من جرائر لا قبل لنا بحملها، وإما أن ننقله إلى لغتنا على ما يُلقيه هذا الخيار من مهمات ثقال على عواتقنا، وهذا الخيار الثاني هو ما أستقر عليه رأي الأمة، ولو نظريا على الأقل"(٤٩). فنقل العلوم وتعريبها هو الحل الأمثل التي يرى فيها أغلب اللغويين والمعربين والدكتور ممدوح معهم بأنه يحقق التقدم الحضاري وتنمية اللغة. ويشير الدكتور ممدوح إلى أنَّ أهم ماينتج من هذه العملية هو إيجاد مقابلات مكافئة للمصطلحات الأجنبية للتعبير عن المسميات والمصطلحات الجديدة التي أنتجها العلم الحديث واستخدامها بألفاظ عربية في البحث العلمي العربي وفي تعريب العلوم، فدخول هذه المصطلحات ودمجها في الثروة اللغوية العربية هو الذي يضمن لغة علمية في المجالات كافة(٥٠).

ويتفق الدكتور ممدوح مع رؤية الدكتور أحمد مطلوب في الأمور التي يرى أنَّ بتوافرها تصبح اللغة العربية لغة عالمية، وهي" التأليف بالعربية أدباً وعلوماً، والتعليم بالعربية في جميع المراحل، وحوسبة اللغة العربية، والترجمة من العربية وإليها، وإنشاء منظمة لرعاية اللغة العربية ونشرها في العالم ما أمكن"(٥١).

وبناءً على ما تقدم فإنَّ ما يعنيه الدكتور ممدوح من المعاصرة هو التعريب، لأنَّها جوهر قضية التنمية اللغوية، وهي مطمح يُرجى الوصول إليه من لدنَّ أكثر اللغويين، وإنَّه لابد من المثابرة واختيار طريق تعريب العلوم الوافدة إلينا من الأمم المنتجة للعلوم والتقنيات.

مسوغات التعريب وأهم عقباته

رُبَّ سائل يسأل ما جدوى التعريب؟ وكل ما نحتاجه من مصطلحات متوافرة، وإن كانت بلغات أجنبية. وما فائدة تعريبها وبذل كل هذا الجهد والعناء وضياع الوقت في سبيل توفيرها؟ كل هذه التساؤلات تدور في ذهن القارئ والباحث، وهل يستحق كل هذا الجهد المبذول من لدنَّ اللغويين؟

فمن هذا المنطلق وجدتُ أن أعرض أهم مسوغات التعريب والعقبات التي تحوّل دون تحقيقه، مع أن أغلب اللغويين قد كتبوا فيها، ويكاد أغلبهم يتفق على النقاط الرئيسة التي دفعتهم إلى الأهتمام بالتعريب ودعوتهم إليه.

فنعرض أهم مسوغات التعريب وعقباته من وجهة نظر الدكتور ممدوح، مع أنَّه لم يبتعد كثيرا عن المنطلقات التي عرضها غيره، إلا انه جمع أبعاد المسألة بشكل تفصيلي، ونجمل مسوغات التعريب في الآتي:

المحافظة على وجود الأمة، لأنَّ اللغة من أهم مقومات وجودها لأنها الكنز الحقيقي الذي يُعبر عن فكر الأمة(٥٢). يقول الدكتور محمد الصيادي"سيادة العربية في المجمتع لا يمكن أن ينفصل عن وحدة الأمة العربية في الماضي أو في الحاضر"(٥٣). ويرى الدكتور علي القاسمي أنَّ استقلال الأُمة لا يتحقق، ولا يكتمل إلا باستعمال اللغة القومية، لأنَّها المنبر الثقافي المُعبر عنها(٥٤). ويعد هذا المسوغ أهم دوافع التعريب، وهو المطمح العام الذي يُراد تحقيقه منه. فضلاً عن هذا أضاف الدكتور ممدوح مسوغاً يراه من ضروريات التعريب، وهو أعطاء أحقية التعليم لكل فئات الشعب، وألا يقتصر على فئة معينة، ولا سيما أنَّ التعليم باللغات الأجنبية يكون مُكلفاً وباهضاً، ليس على الفرد فحسب بل يُعد مُكلفا على ميزانية الدول أيضا، ويشير أنَّه حتى لو تم التعليم بالأجنبية؛ فأيُّ اللغات نختارها لنعلم بها، فيرى أنَّ تعدد اللغات التي نترجم عنها يُعد مسوغا يدعو إلى التعريب(٥٥).

ومما يسوغ التعريب هو عقلنة المنطق العربي، يقول الدكتور ممدوح:" إن الإنسان هو سيد اللغة، فهو غاية واللغة وسيلة"(٥٦)، فيرى أنَّ العلوم تؤثر في عقلية الإنسان، وبالتالي سينعكس تأثيرها على جميع أفراد المجتمع، فالأسلوب العلمي الموضوعي يُكتسب عن طريق نشر العلوم البحتة والتطبيقية في المجتمع العربي، لأن اللغة العلمية دائما ما تتسم بالدقة والأيجاز والوضوح(٥٧).

أما العقبات التي تقف حائلا من دون إتمام مشروع التعريب، فقد صنفها الدكتور ممدوح في بحثه اللغوي عن التعريب على ثلاث فرق وهي المعوقات، والمعاداة، والتحفظات، وما يعنيه بالمعوقات هي العوامل الداخلية للمجتمع العربي المتمثلة بضعف البيان العربي، وقلة أهتمام المجتمع بلغتهم، فضلا عن التخلف في البحث العلمي العربي، أما المعاداة فيعني بها العوامل الخارجية المتمثلة بأعداء التعريب، وأبرزهم الاستعمار وممن سار على نهجهم من العرب، وأخيراً المتحفظون وهم الذين لا يجرؤون على مجابهة تلك العقبات؛إذ يتملكهم هاجس التردد والتخوف، ويرون أنَّ التعريب لم تتهيأ له ما يُقدر لها اسباب النجاح(٥٨). نلحظ أنَّ

الدكتور ممدوح أراد من هذا التصنيف أن يوضح للقارئ أن جزءاً مهما من أسباب عدم انجاح التعريب يقع على عاتق المجتمع العربي، وألا نبقى نتعذر بما يبثه أعداء التعريب.

إنَّ بين العقبات الثلاث يوجد محورٌ رابطٌ بينها جميعا هو أدعاؤهم قصور اللغة العربية عن التعبير عن الأفكار والمفاهيم المستحدثة، وهذا ما يرفضه الدكتور ممدوح ويرى أنَّ العزوف عن التفكير بلغة علمية عربية في المجالات كافة، هو ما نتج عنه هذا التخلف، وليس العجز في اللغة العربية، لأن " اللغة هي أداة التفكير في التعبير عن ذاته وإنتاجه، فهي بهذا صورة صادقة من الفكر"[٥٩]. يقول المستشرق الفرنسي (هنري أوسيل): " ينبغي للغة العربية أن تكون لغة ثانية حتى يتعلم الطالب الفرنسي من العربية عمق التفكير"[٦٠]، فإن كان غيرنا مؤمناً بعمق لغتنا وقدرتها على التعبير والتفكير أوليس أولى أن يكون للطالب العربي وأساتذته هذه النظرة، وهي حقيقة تحتاج إلى الإيمان بها مع العمل المثابر.

إنَّ كل ما تحتاجه أُمتنا هو التفكير بلغتها لتتجاوز هذه العقبات، وأهم ما تحتاج اليه لتحقيق هذه الغاية هو أن يكون لدى الطلبة والأساتذة دافع لتحقيقها، وهذا ما نوه اليه الدكتور عبد الحافظ حلمي في محاضرة ألقاها أمام رئيس مَجمَع اللغة الأردني، وإنَّ أهم عائق يقف أمام الطلبة والأساتذة هو عقبة الحاجز النفسي من الوهم والتردد، ومخافة أن يُلقي التعريب عبئا أضافيا عليهم من محاولة إيجاد ما يُقابل المصطلحات الأجنبية، وعناء البحث في بطون الكتب[٦١]، وهذا ما أكده الدكتور جميل الملائكة في المؤتمر السنوي لمَجمَع القاهرة، فهو يرى أنَّ الحضارة والأصالة العلمية لا يمكن بلوغها من دون بذل الجهد، وأنَّه لابد من الوقوف أمام هذه المخاوف وقطعها بشدة وحزم[٦٢].

فعند النظر إلى مسوغات التعريب وعوائقه نجد أنَّ جوهر القضية متفق عليه من قبل أغلب اللغويين، فالمسألة ليست مجرد التعبير باللغة العربية، وإنما المسألة هي أن تتوحد الأراء على جعل التعريب قائماً على أساس الفكر، واللغة هي أداته للوصول إلى هذه الغاية، وذلك أن نفكر تفكيراً عربياً في كل ميادين الحياة المعرفية والعلمية[٦٣]. فاللغات هي التي تُعبر عن هوية الأمة، وكما قيل:" الأمة بلا لغة هي أمة بلا قلب"[٦٤].

الخاتمة

١-إنَّ مفهوم التعريب بصورة عامة لا يبتعد عما جاء عند اللغويين العرب قديماً، إلا إنه أكتسب دلالة جديدة في وقتنا المعاصر لم يعهدها العرب قديماً، وهو جعل اللغة العربية، لغة

التعليم، ولغة الأدارة في الأمة العربية، فضلاً عن أكتسابه مفهوم وضع المصطلحات العلمية العربية للمقابلات الأجنبية الوافدة إلينا.

٢-يرى الدكتور ممدوح أنَّ للتعريب أثراً كبيراً في تنمية اللغة ونمائها وتطورها، وهي طريقنا إلى المعاصرة، وأهم خطوة للوصول إلى ذلك، هو بجعل اللغة العربية لغة التفكير في البحث والدراسة والتأليف، وفي كل مجالات المعرفة العلمية والإنسانية.

٣-إنَّ أهم ما يسوغ لقضية التعريب هو وحدة الأمة العربية، وتنمية اللغة وتطورها، لأن اللغة العربية هي عامل هذه الوحدة، وهو المقوم الرئيس لها، وهذا ما يدعو إليه الدكتور ممدوح في بحثه اللغوي، ويرى أنَّ أهم عائق يقف أمامها هُم مَنْ يَدَعون بأنَّها لغة عاجزة عن التعبير بلغة علمية تواكب هذا التطور العلمي والتقني، وهذا ما يرفضه اللغويون والدكتور ممدوح معهم، إذ يرون أنَّها لغة علم كانت وما تزال وستبقى لغة علم.

Abstract

The Concept of Arabization its History, Justifications, and Obstacles (A research drawn from M.A. Thesis)

Keywords: Parsing, development, contemporary.

Mahi Mahdi Salih
Religious Teaching and Islamic Studies Services

Prof. Ibrahim Rahman Hameed (Ph.D.)
University of Diyala
College of Education for Humanities

This research studies the case of parsing in modern age because it is the case that received the most important part in the linguistic research by Dr. Mamdouh Mohammed Khasara. The light has been shed on parsing as being a phenomenon having its origins in ancient Arab Linguists and being a modern case, it received a huge and wide interest in the meantime by the Narrators, because of its affect in increasing and developing the wealth of language. Doctor Mamdouh was concerned in clarifying the concept of parsing previously and newly and its history, justifications, and most important obstacle that prevent from achieving in the Arabic Nation.

الهوامش:

(١) ينظر: التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي: ١٣.

(٢) ينظر: التعريب والتنمية اللغوية:٥.

(٣) ينظر: العولمة الثقافية واللغة العربية: د. ممدوح خسارة: مجلة مجمه اللغة العربية بدمشق: مج٨٨/ج٢/٣٠٧.

(٤) يُنظر: قضايا لغوية معاصرة: ٧.

(٥) المصدر نفسه: ١١.

(٦) مقاييس اللغة:٤/٢٩٩.

(٧) لسان العرب:١/ ٥٨٩.

(٨) تاج العروس: ٣/٣٣٩.

(٩) ينظر: التعريب والتنمية اللغوية:١٤، والتعريب مؤسساته ووسائله: ٧.

(١٠) ينظر: التهذيب في أصول التعريب: ١٢٠.

(١١) التعريب في القديم والحديث: ٩.

(١٢) التعريب والتنمية اللغوية:١٥، وينظر: التعريب مؤسساته ووسائله: ٧.

(١٣) المصدرن أنفسهما، وينظر: لسان العرب:١/٥٨٩.، وتاج العروس: ٣/٣٥٤.

(١٤) ينظر: التعريب والتنمية اللغوية: ١٥، والتعريب مؤسساته ووسائله: ٨.

(١٥) ينظر: المصدران نفسهما:١٥-١٧، ٨-٩.

(١٦) ينظر: التعريب وتنسيقه في الوطن العربي: ٨٨.

(١٧) التعريب والتنمية اللغوية:١٥، والتعريب مؤسساته ووسائله: ١٠.

(١٨) المصدران أنفسهما:١٥-١٩، ١٠.

(١٩) ينظر: التعريب في القديم والحديث: ٩.

(٢٠) ينظر: التعريب والتنمية اللغوية:١٩-٢٠.

(٢١) التعريب في التراث اللغوي مقاييسه وعلاماته: ٣٠.

(٢٢) ينظر: التعريب وتنسيقه في الوطن العربي: ٨٨.

(٢٣) ينظر: التعريب والتنمية اللغوية: ٢١.

(٢٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢١.

(٢٥) المصدر نفسة:٢٢.

(٢٦) المصدر نفسه، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/٨٧، والمزهر في علوم فقه اللغة:١/ ٢١٢، والمعرب من الكلام الأعجمي:٦.

(٢٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن :١/٢٧٨، والتعريب في القديم والحدبث: ٤٠.

(٢٨) العربية خصائصها وسماتها: ٣٩٠.

(٢٩) التعريب والتنمية اللغوية:٢٢، ومنهجية تعريب الألفاظ: ١٣، والمعرب من الكلام الأعجمي: ٦، والبرهان في علوم القرآن: ١/٢٩٠.

(٣٠) المعرب من الكلام الأعجمي: ٦.

(٣١) التعريب والتنمية اللغوية: ٢٢.

(٣٢) ينظر: منهجية تعريب الألفاظ بين القديم والحديث: ١٤.

(٣٣) ينظر: التعريب وتنسيقه في الوطن العربي: ٨٩.

(٣٤) ينظر: التعريب والتنمية اللغوية: ٢٣.

(٣٥) ينظر: علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية: ٢٥.

(٣٦) التعريب والتنمية اللغوية: ٢٦.

(٣٧) المصدر نفسه: ٢٦.

(٣٨) العربية خصائصها وسماتها: ٣٧٧.

(٣٩) ينظر: التعريب والتنمية اللغوية: ٢٨.

(٤٠) التعريب في القديم والحديث: ٢٦٩.

(٤١) التعريب والتنمية اللغوية: ٢٩.

(٤٢) التعريب في القديم والحديث: ٢٣٨، وينظر: التعريب والقومية العربية في المغرب العربي: ٤٣.

(٤٣) ينظر: التعريب والتنمية اللغوية: ١٧، والتعريب مؤسساته ووسائله:١٠.

(٤٤) ينظر: التعريب في القديم والحديث: ٢٧٠.

(٤٥) ينظر: قضايا في اللغة العربية الحديثة: ٦٦، والتعريب وتنسيقه في الوطن العربي: ٩٣.

(٤٦) التعريب وتنسيقه في الوطن العربي:٩٣-٩٤.

(٤٧) ينظر: التعريب والتنمية اللغوية: ٣٠.

(٤٨) ينظر: تعريب التعليم العالي في العراق: د. أحمد مطلوب: مجلة مَجمَع اللغة العربية الأردني:ع ٢٥-٢٦/٥٧.

(٤٩) التعريب والتنمية اللغوية: ٣٠.

(٥٠) ينظر: التعريب والتنمة اللغوية: ٣١، والتعريب مؤسساته ووسائله:٩.

(٥١) التعريب طريق العربية إلى العالمية: د. ممدوح خسارة: مجلة مَجمَع اللغة العربية بدمشق: مج٨٧/ج١/٥٠.

(٥٢) ينظر: التعريب والتنمية اللغوية: ٤٠.

(٥٣) التعريب في القديم والحديث: ٢٧٠.

(٥٤) ينظر: مقدمة في علم المصطلح: ١٣٥.

(٥٥) ينظر: التعريب والتنمية اللغوية: ٤٢-٤٩.

(٥٦) التعريب والتنمية اللغوية: ٤٧.

(٥٧) ينظر: المصدر نفسه:٤٧.

(٥٨) ينظر: المصدر نفسه: ٦١-٧٦.

(٥٩) المصدر نفسه: ٦٧.

(٦٠) تعليم اللغة العربية بين التراث والمعاصرة: م.م. خمائل شاكر: مجلة التراث العلمي العربي: ع٢/ ١٦٦.

(٦١) ينظر: اللغة العربية والتعريب العلمي في مصر: ٢٤.

(٦٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤.

(٦٣) ينظر: دراسات في فقه اللغة: صبحي الصالح: ٩.

(٦٤) موت اللغة: ٧٢-٧٣.

المصادر والمراجع

- _ القرآن الكريم .
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي(ت٧٩٤)، تح: ابو الفضل الدمياطي، دار الحديث-القاهرة، ١٤٢٧، ٢٠٠٦.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحصيني ابو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي(ت١٢٠٥)،تح: مجموعة من المحققين، دار الهدية.
- تعريب التعليم العالي في العراق: د. أحمد مطلوب، مجلة مَجمَع اللغة العربية الأردني، ع٢٥-٢٦، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.
- التعريب طريق العربية إلى العالمية: د. ممدوح خسارة، مجلة مَجمَع اللغة العربية دمشق، مج ٨٧،ج ١، ٢٠١٢.
- التعريب في التراث اللغوي مقاييسه وعلاماته: د. عبد العال سالم مكرم، منشورات ذات السلال، ط١، الكويت، ١٤٠٩هـ،١٩٨٩م.
- التعريب في القديم والحديث: د. محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي.
- التعريب مؤسساته ووسائله : د. ممدوح محمد خسارة، دار الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

- التعريب وتنسيقه في الوطن العربي: د. محمد المنجي الصيادي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٥، بيروت، آذار ١٩٩٣.
- التعريب والتنمية اللغوية: د. ممدوح محمد خسارة، الاهالي للطباعة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٤ .
- التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ١٩٨٦.
- التعريب والقومية العربية في المغرب العربي: د. نازلي معوض احمد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٦.
- تعليم اللغة العربية بين التراث والمعاصرة: م.م. خمائل شاكر غانم، مجلو التراث العلمي العربي، ع٢، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
- التهذيب في أصول التعريب: د. احمد بن عيسى، ط١، دار القاهرة، ١٣٤٣- ١٩٢٣.
- دراسات في علم اللغة: د. كمال محمد بشر، دار المعارف، ط٩، مصر، ١٩٨٦
- العربية خصائصها وسماتها: د. عبد الغفار حامد هلال، دار وهبة، ط٥، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
- علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية: د. ممدوح محمد خسارة، دار الفكر-دمشق،٢٠٠٨.
- العولمة الثقافية واللغة العربية: د. ممدوح خسارة، مجلة مَجمَع اللغة العربية دمشق، مج ٨٨، ج٢، ٢٠١٥.
- قضايا في اللغة العربية الحديثة: د. سمر روحي الفيصل، كتاب من شبكة المعلومات.
- قضايا لغوية ومعاصرة: د. ممدوح محمد خسارة، دار الوطنية الجديدة ، سورية- دمشق، ط١، ٢٠٠٣.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي: أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي(ت٧١١)، دار صادر- بيروت، ط٣- ١٤١٤.
- اللغة العربية والتعريب العلمي في مصر: د. عبد الحافظ حلمي محمد، المحاضرة السادسة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٦م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن بن ابي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١)، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨-١٩٩٨.
- معجم في مقاييس اللغة: احمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ابو الحسن (ت٣٩٥)، تح، عبد السلام محمد هارونن الناشر- دار الفكر، ١٣٩٩-١٩٧٩.
- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي(ت٥٤٠هـ)، تح: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨.
- منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث: د. ممدوح محمد خسارة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٩.
- موت اللغة: البرفيسور ديفيد كريستال، ترجمة: د. فهد بن مسعد اللهيبي، جامعة تبوك، ١٤٢٧،٢٠٠٦ .